بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٩].

﴿وَ﴾ من جملة المتَّقين والمعدودين من زمرتهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فعلةً قبيحة، صغيرةً كانت أو كبيرةً، صدرت منهم هفوةً خطأً ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأن صدرت عنهم عند قصدٍ وتعمُّدٍ، ثم ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ خائفين من بطشه وانتقامه ﴿فَاسْتَغْفَرُوا﴾ منه راجين العفو والستر ﴿لِذُنُوبِهِمْ﴾ التي صدرت عنهم عمداً أو خطأً ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ مطلقاً من العباد ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ غير الله الذي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من عباده إرادةً واختياراً ﴿وَ﴾ بعد استغفارهم ﴿لَمْ يُصِرُّوا﴾ ولم يرجعوا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ بل تركوه بالمرة، ولم يرجعوا إليها أصلاً ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قبحه ووخامة عاقبته.

﴿أُولَٰئِكَ﴾ المتذكِّرون المستغفرون ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ سترٌ لأنانيَّتهم، غطاءٌ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لإخلاصهم في الإنابة والرجوع ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ وكشوف وشهود ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي أنهار الجنة والمعارف والحقائق ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبداً، لا يظمؤون منها أبداً، بل يطلبون دائماً مزيداً ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ تلك الجنان والغفران.

بادروا أيها المؤمنون إلى الطاعات، وداوموا على الأعمال الصالحات، ولا تغفلوا عن الله في عموم الحالات، واعملوا ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ في القرون الماضية

﴿سُنَنٌ﴾ وقائعُ هائلةٌ بين الأمم الهالكة المنهمكة في بحر الضلال والخسران؛ وإن أردتم أن تعتبروا منها ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي عالم الطبيعة، أيها المفردون السائحون في ملكوت السماوات والأرض ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ في آثارهم وأظلالهم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بتوحيد الله، وبرسله المبيِّنين له، وإذا نظرتم وتأملتم فاعتبروا يا أولي الأبصار.

﴿هَٰذَا﴾ أي في تذكُّر سنَّتهم وسيرهم ﴿بَيَانٌ﴾ ودليلٌ واضح ﴿لِّلنَّاسِ﴾ المستكشفين عن غوامض مسالك التوحيد الذاتي من أهل الإرادة ﴿وَهُدًى﴾ أي لأهل الكشف والشهود من أرباب المحبة والولاء ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ وتذكير ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من عموم المؤمنين.

﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾ أي ولا تضعفوا أيها المؤمنون من متاعب مسالك الفنا ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ من المكروهات التي عرضت عليكم من مقتضيات الأوصاف البشرية في النشأة الأولى ﴿وَ﴾ اعلموا أنكم ﴿أَنتُمُ﴾ أيها المحمديون، أنتم ﴿ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ في دار البقاء، أي المقصورون المنحصرون على أعلى المراتب، إذ لا دين ولا نبيَّ أعلى من دينكم ونبيِّكم؛ لظهوره على التوحيد الذاتي، لذلك خُتِم به صلى الله عليه وسلم أمرُ النسخ والتبديل، وظهر سرُّ قوله سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩]. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ محقَّقين بتلك المرتبة. ربَّنا آتنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله تعالى وسلَّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.

العاجز الغريب الفقير أحمد فتح الله جامي
خادم الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية

هذا كنز من كنوز القرآن، أملاه عليَّ العارف بالله المربي الإمام، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به، آمين.
في شهر شعبان ١٤٣٢هـ

** ** **